مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية المجلد (3) العدد(12)– ديسمبر 2024م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812–145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812– 5428
الموقع الإلكتروني: https://jlais.journals.ekb.eng

دور الاحالة فى التماسك النصي (خُطب الرسول ﷺ نموذجاً)

أ/ محمد على أحمد على
باحث ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب – جامعة المنصورة

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (3) Issue (12)- Des2024
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: https://jlais.journals.ekb.eg/

دور الاحالة فى التماسك النصي (خُطب الرسولﷺ نموذجًا)

أ/ محمد على أحمد على

باحث ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة المنصورة

ملخص

يتناول هذا البحث دور السبك والحبك فى التماسك النصي خطب الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجًا ، دراسة وصفية تحليلة للنص . فيبدأ بمدخل بين نحو النص ونحو الجملة مفهومًا وتاريخاً ندخل من خلالها للفرق بين نحو الجملة ونحو النص ، حيث يعرَّف بأنه: " استكشاف المعاني بشكل شامل وعميق، بدلاً من التركيز على تفاصيل الجملة بشكل منفصل. يسعى تحليل النص إلى فهم العلاقات بين الجمل والأفكار التي تتضمنها النص بصورة أوسع وأعمق. يسمح هذا النهج بالتركيز على الفكرة العامة التي يحملها النص، ليساهم في تحقيق فهم أعم وأكثر شمولية". ومنها إلى مفهوم التماسك النصى فى الدراسات العربية والدراسات الغربية والولج منها إلى مفهموم السبك لغة و اصطلاحًا حيث يعرف بأنه " مصطلح يدل على تعلق كلمات النص بعضها ببعض من أوله إلى أخره، أي: المكونات التي تجعل النص كلا موحدًا متماسكا دالًا، لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة". وبعد ذلك مفهموم الحبك ويعرف بأنه " حصيلة تفعيل دلالي ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معني أنها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النص غالبا على مستوى الشكل،فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم الحبك الضروري وينشئه.

فأهداف هذا البحث هي الكشف عن بعض التفرد للنص المكتوب متخذاً خطب الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجًا فيما يخص وسائل الترابط عنه فى التواصل الشفوى، فالتواصل الكتابى يتسم بالانفصال عن الزمان والمكان و الشخص ، ويبتعد

من مقتضيات موقف الحال وتعالج فيه الجمل خارج سياقاتها . فخطب الرسول صلى الله عليه وسلم جمعت بين المكتوب والشفوي .

الكلمات المفتاحية: السبك – الحبك– خطب– تماسك

Abstract

This research addresses the role of cohesion and coherence in the textual integrity of the speeches of the Prophet Muhammad (peace be upon him) as a model, offering a descriptive and analytical study of the text. It begins with an introduction to the relationship between sentence structure and text structure, both conceptually and historically, leading us into the differences between the two. Textual analysis is defined as "a comprehensive and deep exploration of meanings, rather than focusing on the details of sentences in isolation. The goal of text analysis is to understand the relationships between sentences and the ideas they contain in a broader and deeper sense. This approach allows for a focus on the overarching idea expressed by the text, contributing to a more profound and comprehensive understanding." From there, it moves to the concept of textual cohesion in both Arabic and Western studies, leading to a definition of cohesion both linguistically and terminologically as "a term indicating the interconnection of words in a text from beginning to end, meaning the components that create a unified and coherent whole rather than merely a series of unconnected words and sentences." Following this, the concept of coherence is defined as "the result of a semantic activation based on a meaningful connection between concepts and knowledge, in terms of it being a composite of meanings and their relationships, in the sense that it is a latent semantic network, often not addressed by the text at the level of form, with the listener or reader being the one who designs and creates the necessary coherence."

The objectives of this research are to uncover some unique aspects of the written text, using the speeches of the Prophet Muhammad (peace be upon him) as a model concerning means of cohesion in oral communication. Written communication is characterized by

its detachment from time, place, and person, distancing itself from the exigencies of the current situation and treating sentences outside of their contexts. The speeches of the Prophet (peace be upon him) combine both written and oral elements.
Keywords: Cohesion, Coherence, Speeches, Textual Integrity

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين، مُبلِّغ الكتاب العربي المبين من لدن عزيز حكيم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن موضوع هذا البحث هو " دور السبك والحبك فى التماسك النصي خطب الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجًا ". معبرًا على أن الدراسة الجديدة للنص لم تعد قاصرة على الجانب النحوي،بل تجاوزت هذه الدائرة لتشمل نظرة عامة للنص وما يحيط به، وما يحتويه من علاقات تؤكد نصيته،فمن تعريف مصطلح نحو النص الذى يفهم منه الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية،وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصى[1]، لتمتد إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة، ثم الفقرة، ثم النص بتمامه[2] .

هذا الاتجاه المعاصر في دراسة النص اللغوي يجذب الانتباه أكثر من الكلمة أو الجملة،وبهذا يتخطى النص القيود التقليدية للنحو الخاص بالجمل، ويتجاوز أيضًا أنماط القراءة التقليدية وأساليب التحليل النحوي المتعارف عليها، التي خدمت اللغة لقرون عديدة ولا تزال مستمرة في تأثيرها.

يساهم (نحو النص) في الكشف عن علاقات لم يتم التطرق إليها في (نحو الجملة)، حيث يُركز على الروابط التي تتجاوز الجملة لتشمل الجمل والفقرات والنص ككل، على المستويات المعجمية والنحوية والصوتية والصرفية والتركيبية، بالإضافة إلى المستوى الدلالي. وهذا يوضح أن الانتقال من (نحو الجملة) إلى (نحو

---

1 ينظر نحو النص اتجاه جديد في دارسة النحو العربي ص 291 تأليف د / أحمد عفيفى ، صحيفة دار العلوم للغة العربية و آدابها والدراسات الإسلامية ع 16 رمضان 1421 ديسمبر 2000

2 ينظر العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ص 44، تأليف أ.د سعد مصلوح ، الكتاب التذكارى لذكرى عبد السلام هارون الكويت ، 1999

النص) ليس مجرد انتقال من عنصر أصغر إلى عنصر أكبر، بل هو أيضًا تحول في المنهجية وأدوات الدراسة وإجراءتها وأهدافها.

تدور دراسة هذا البحث في " دور السبك والحبك فى التماسك النصى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجًا دراسة وصفية تحليلة للنص تهدف إلى الآتي:

الأول: حصر عناصر السبك والحبك فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثاني: توضيح مواطن السبك النحوي والمعجمي فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثالث: اختيار مجموعة من الخطب وتطبيق عناصر السبك والحبك عليها .

الفصل الأول : السبك النحوي وأثره فى تماسك النص ويشتمل علي أربعة مباحث :

- **المبحث الأول: الإحالة.**
- **المبحث الثاني: الاستبدال.**
- **المبحث الثالث : الوصل.**
- **المبحث الرابع: الحذف**

<u>المبحث الأول : الإحالة :</u>

<u>أولا: آليات السبك النحوى :</u>

1- **<u>الإحالة</u>** : هى ((إرجاع الشيء إلى الشيء وهى قسمان خفية و جلية)) وعرفت الإحالة على أنها ((علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف،تدل عليها عبارات أخرى فى السياق ، أو يدل عليها المقام)).

أثر الإحالة فى تماسك النص:

تعد الإحالة [1]وسيلة بارزة من وسائل الاتساق النحوي، وهي من أهم الوسائل اللسانية التي تحقق ترابطًا، وتعبر عنها عناصر لغوية مجردة من الدلالات المفيدة، يطلق عليها العناصر المحيلة،أو المعوضات[2] ، أو الكنائيات[3]، وتشمل الضمائر ، والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، من شأنها أن تبعد التكرار غير الموظف عن النص الذي يؤدي إلى اختلال بنيانه واضطراب اتساقه، فتسهم في تحقيق ترابط النص، واستمراره[4] ، ويمكن لها أن تقدم معلومات جديدة تعمل على تنمية موضوع النص[5]. ويمكن للإحالة أن تكون " وسيلة تأثير في المتلقي بربط ذهنه وتركيزه بمضمون ما يتلقاه من بداية الحجاج حتى منتهاه، وقدرته على تفكيك أجزاء ما يوجه إليه، وتحديد تلك الأدوات المستعملة لإعادة ربط هذه الأجزاء، والنظر في دلالتها .

وفى النظر فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أن الإحالات الضميرية قد هيمنت على سائر الإحالات هيمنة ساحقة، فهي الشرايين التي تسهم في بناء النص، وجعله مستمرًا، ولاسيما الإحالات الدالة على الغائب، وعلى الرغم من أن كفتها

---

1 بوقرة، نعمان ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث / جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط ١ ، ٢٠٠٩م ، ص ٨١

2 الزناد الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي المغرب لبنان، ط١، ١٩٩٣،ص ١١٥

3 دي بو جراند، روبرت النص والخطاب ،والإجراء، ترجمة: تمام حسان عالم الكتب القاهرة، ط ١ ، ١٩٩٨، ص ٣٢٠

4 نسيج النص، ص ١٢١ وفان دايك تون النص ،والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق المغرب / لبنان، ٢٠٠٠م، ص ١٤٣ – ١٥٠. والصبيحي،محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف بيروت الجزائر، ط ١ ، ٢٠٠٨، ص ٨٨

5 محمد عزة علم لغة النص النظرية والتطبيق مكتبة الآداب القاهرة، ط١، م2007 ص 120

تهيمن في عملية التلفظ، فإنها تحظى بالثقل في ميزان النصية، لما تمتاز به من ربط بين عناصر النص[1].

غير أن اللافت للنظر أن هذه الإحالات عادت جلها على لفظ الجلالة، أو ما يكنى به عنه،وليس هذا بمستهجن، لأن العنصر الإشاري ذا الأهمية الفائقة هو الذي يرتبط به أكثر عدد من الإحالات [2] فالرسول يسعى على وعي منه إلى استحضار الذات الإلهية في النص، وجعلها ماثلة في أشد مواطن الخطاب حساسية ، فنراها تتمركز في مطلع الخطاب وفي نهايته، فأول إحالة على الغائب في النص،وآخر إحالة عادت على لفظ الجلالة " الله " تعالى، إضافة إلى حشد هائل من الإحالات على هذا العنصر المعجمي المقدس ضمن النص بغية توجيه الخطاب إلى خدمة هدف الموضوع، وإجلاء مقصده، ألا وهو استحضار الذات الإلهية ، وبيان سيطرتها على الخلق، لا يشاركها أحد في ذلك،فتكاثف الإحالات على الذات الإلهية نهض بوظيفة حجاجية تجلت في ربط ذهن المتلقي بمضمون ما توارد في الخطبة والقدرة على تحليله، ثم معاودة تجميعه مرة أخرى، مما يفضي إلى تحقيق الفعل المنجز المتمثل في التوحيد، الذي يريده الرسول صلى الله عليه وسلم أن يثبته على مدار النص،فالمتلقون حديثو عهد بالإسلام، وتمكين معنى التوحيد بالله تعالى ضروري.

عناصر الإحالة :

تقوم بنية الإحالة فى النص على عدد من العناصر هى :

1- **العناصر الإحالية (العنصر المحيل)** ، وهى عبارة عن مجموعة من الألفاظ لاتكتفى بذاتها من حيث التأويل ، أولا تملك دلالة مستقلة ، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه فى أجزاء أخرى من النص من أجل تأويلها ،

---

1 محمد خطابي لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النصوص المركز الثقافي العربي، المغرب / بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ص ١٨

2 نسيج النص، ص ١٣٤-١٣٥.

وتسمى العناصر عناصر محيلة 1، فهى ألفاظ فارغة فى المعجم ؛ لأنها خالية من الدلالة فى ذاتها ، وإنما تتخذ محتوى ما تحيل إليه ، وتقوم بوظيفة تعويض الأسماء 2 ، وقد تكون هذه العناصر بازرة وقد تكون مستترة. ويطلق عليها (هاليداى ورقية حسن) أداوت، وتمثلها الضمائر وأسماء الإشارة ، ويعرفها (براون) بانها : " الأدوات التى تعتمد فهمنا لها لا على معناها الخاص ، بل على إسنادها إلى شىء آخر3، ويسميها (دى بوجراند) الألفاظ الكنائية ووضع لها سمات ، وأضاف لها الموصولات ، كما عدها من البدائل المهمة فى إيجاد الكفاءة النصية التى تعنى : صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل ، ويعرفها بأنها : العلاقة بين العبارات والأشياء و الأحداث والمواقف فى العالم الذى يدل عليه بالعبارات4،و أسماها (الأزهر الزناد) العناصر الإحالية وعدّها من قبيل المعوضات ، وأشار إلى أنها تأتى تعويضًا عن وحدات معجمية – أسماء مفردة وما يضارعها من المركبات–يمكن أن نطلق عليها مصطلح العنصر الإشارى ، ويقسمها إلى الضمائر وأسماء الإشارة5.

العناصر الإشارية (العنصر المحال إليه) ، وهى " عبارة عن المحال إليه من ذوات أو مفاهيم جرى التعبير عنها فى شكل أسماء مفردة ، أو مركبات اسمية تُذكر باسمها الصريح عند ورودها أول مرة فى النص 6، فهى تمثل معلمًا لذاتها لا يقوم فهما أو إدراكها على غيرها.

---

1 نسيج النص ، الأزهر الزناد ص 118 ، نحو النص أحمد عفيفى ، مكتبة زهرء الشروق ط 1 / 2001 م ، ص 107 ، نظرية علن النص حسام أحمد فرج ، مكتبة الآداب ، ط / 1 ، 2007 ص 83

2 نسيج النص ، د. الأزهر الزناد ص 118–119

3 تحليل الخطاب ، ج ب براون وجيول ــ ترجمة لطفى الزليطنى ومنير التريكى ص 245

4 النص والخطاب و الأجراء ، دى بوجراند ص 320

5 نسيج النص الأزهر الزناد ص 320 وينظر ص 115– 116

6 ينظر: السابق ، ص 126

أقسام الإحالة :

أولا : الإحالة القبلية :

يشير العنصر المحيل في النص إلى عنصر آخر، وتكون الإشارة إلى عنصر واحد أو مجموعة من العناصر التي قد تأتي بعده. يُعَتَبَر هذا النوع من العناصر السبكية أكثر ورودًا فى النصوص، إذ يُعمِّق مسار النص ويَجذب الانتباه نحو الأفكار القادمة، مما يُعَزِّز تأثير السرد بشكل فعّال.

ثانيًا : الإحالة البعدية :

يتم إشارة العنصر المحيل في النص إلى عنصر آخر أو مجموعة من العناصر اللاحقة له فى النص، يُعد هذا الأسلوب من الأساليب اللغوية القليلة التي تُستخدم في اللغة العربية. يعود هذا إلى شرط النحاة العرب بأن يكون العنصر المفسر مقدمًا على العنصر المبهم سواء لفظيًا أورتبة، وعلى الرغم من وجود بعض الأمثلة المخالفة لهذا الشرط وردت فى اللغة العربية ، جمعها ابن هشام فى الآتى [1]:

1- ما جاء فى ضمير الشان أو القصة ، الذى يرمز إلى الشأن أو الحال الذى تتضمنه الجمل بعده كقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾[2] ، وقوله : ﴿ فإذا هى شخصة أبصر الذين كفروا ﴾[3].

2- فى باب المرفوع بنعم وبئس ، والمفسر بالتمييزمثل : بئس صفةً الخيانة ، ونعم عملًا الإخلاص .

3- فى باب التنازع فى العمل إذا أُعمل الثانى واحتاج الأول إلى مرفوع نحو : جفنوني ولم أجف الأخلاء ؛ فالضمير فى جفونى هو واو الجماعة الذى يعود على الأخلاء ، وهذا العائد متأخر على الضمير .

---

1 شذور الذهب فى معرفة كلام العرب – ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شذور الذهب لمحى الدين عبد الحميد ، ط 15 1978 م ، مطبعة التقدم ، ص 179 –181

2 سورة الإخلاص الآية 1

3 سورة الأنبياء الآية 97

4- أن يكون مخبرًا عنه بمفسره خبره نحو قوله تعالى : ﴿وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا ﴾[1]

5- أن يجر برب مفسرًا بتمييز ، وحكمه كحكم ضمير نعم وبئس ، مثالة قول الشاعر :

رُبَّهُ فِتيةً دَعَوتُ إلى مَا يُورِثُ المَجدَ دَائِبًا فَأَجَابُوا

فعائد الضمير فى (رُبَّ) هو التمييز .

6- أن يكون مبدلًا منه الظاهر المفسر له مثل قولك فى ابتداء الكلام : ضربته زيدًا . أو متصلًا بفاعل مقدم ومفسره مفعول مؤخر ، كقوله : ضربَ علامُهُ زيدًا .

وهذا يعنى أن الإشارة إلى المرجعية البعدية كانت حاضرة فى التراث اللغوى العربى، إن كان حضورها أقل قليلًا .

إن الإحالة البعدية تستخدم لإيضاح شىء مجهول أو مشكوك فيه ، ولهذا فهى عمل على تكثيف اهتمام القارىء ، بحيث يؤدى وجودها إلى خلق مكان فارغ مؤقت حتى يتم شغله بالمرجع المطلوب،وبالتالى زجُّ المستقبل داخل النص ، ودعم قدرته على استرجاع العناصر أو الصفات المرتبطة بالإحالة البعدية [2].

صورة الإحالة :

الإحالة الضميرية :

رجح هاليداي ورقية حسن ضمائر المتكلم والخطاب من وسائل الإحالة الخارجية التي لا تسهم في تماسك النص، إلا إذا كانت داخل سرد أدبي، بأن تحيل إلى عناصر لغوية موجودة داخل النص، والسبب في هذا كما يذكر د. تمام حسان رحمه الله : أن ضمائر المتكلم تفتقر إلى متكلم، وضمائر الخطاب تفتقر إلى مخاطب كذلك، أما ضمير الغيبة فيفتقر في العادة إلى مذكور يُعد مرجعاً له، فلا يتضح معنى الضمير

---

1 سورة الأنعام الآية 29

2 النص والخطأ والإجراء دى بوجراند ص 245 ، نظرية علم النص رؤية منهجية فى بناء النص النثرى د . حسام أحمد فرج ، ص 84

إلا بواسطة ذلك المرجع 1، كما أن مفسر ضمير الغيبة قد يكون نكرة مثل قولك: رأيت رجلا أخلاقه كريمة، وهذا يجعله أكثر شيوعا وإبهاما، بخلاف ضميري الخطاب والمتكلم 2 ، وعليه فإن الضمائر التي تسهم في الإحالة هي ضمائر الغيبة، سواء أكانت بارزة أم مستترة، وضمائر المتكلم والخطاب إذا أحالت إلى عناصر لغوية داخل النص، ولكي يكون الضمير وسيلة من وسائل الربط المؤدي إلى تماسك النص، لابد أن يكون بينه وبين مرجعِهِ مطابقة في اللفظ والقصد، بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهارلحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه3.

ومن المعروف عند النحاة أن الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة تدخل في إطار ما يسمى المبهمات، وقد أطلق عليها د. تمام حسان) رحمه الله جميعًا لفظ الضمائر، لأنها **تشترك** في الإبهام بوقوعها على جميع الموجودات دون تمييز مما يلزمها التمييز، كما تشترك فيكونها جامدة ومبنية4.

ويحصل التماسك عن طريق الإحالة بالضمير عند استرجاع المعني أو إدخال الشيء في الخطاب مرة أخرى، وهو ما يحصل في الإحالة بشكل عام سواء أكانت بالضمير أو بغيره، وبهذا يحصل الاقتصاد باختصار الوحدات الإحالية للعناصر المحال إليها، وتجنب تكرارها مع المحتوى مستمرًا في المخزون الفعال، وفى هذا إنعاش للذاكرة 5 ، والربط بالضمير له إمكانية الإحالة الموسعة، فقد يحل الضمير محل كلمة أو

---

1 البيان فى روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى ، د . تمام حسان ، ط/2 ، 1420هـ 2000م ـ عالم الكتب القاهرة ـ138/1 ، وينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، د . محمد خطابى ، ص 37 ـ علم لغة النص النظرية والتطبيق ، د . عزة شبل ، ص177

2 شرح المفصل ، العلامة موفق الدين ابن يعيش بن على بن يعيش النحوى ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، 126/3 –139

3 البيان فى روائع القرآن 138/1–139

4 اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط/2، 1979م، ص 110

5 نسيج النص الأزهر الزناد ص 121 ، نظرية علم النص حسام أحمد فرج ص 83 –84 ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، د. محمد خطابى ، ص 17 .

عبارة، أو جملة، أو عدد من الجمل،ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها أداة ربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالةً، داخليا وخارجيا، وسابقةً ولاحقةً ، ولا تصبح الجملة صحيحة نحويا إذا افتقرت إلى الضمير المرجع إلى الموصول، فلا يصح قولنا : (رأيت الذي اللذان أبوهما منطلقان في الدار)؛ لأنه ليس في صلة الذي ما يرجع إليه1.

وقد عُرِّف الضمير في التراث العربي بكونه وسيلة من وسائل الربط فعدَّه ابن هشام عمدة الروابط والأصل فيه، وجمع الأشياء التي تحتاج إلى رابط في أحد عشر موضعًا هي الجملة

المخبر بها، الجملة الموصوف بها الجملة الموصول بها الأسماء، الجملة الواقعة حالا، الجملة

المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه، الجملة بدل البعض الجملة بدل الاشتمال، معمول الصفة

المشبهة، جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء، العاملان في باب التنازع، ألفاظ التوكيد الأول،2وأولى التراث اللغوي العربي اهتمامًا بارزًا بهذا الدور الرابطي للضمير ، سواء أكان هذا الربط بين المفردات أم بين الجمل ؛ فالخبر حين يكون جملة لابد له من ضمير يعود على المبتدأ، وإلا فلايعد خبرًا، ذلك أنه ليس المبتدأ في المعنى، وهذا واجب في العربية. وهذا ما سمي بالإحالة القبلية في نحو النص. بل إن القدماء أدركوا أهمية الضمير في الربط وإن كان محذوفاً، فاهتم سيبويه بالضمير محذوفاً في سياقات عدة منها عائد جملة الصلة،والصفة،والخبر، ولعلم المخاطب به، أو لدلالة السياق عليه، ويشير في إطار حديثه عن عائد جملة الصلة والصفة والخبر في قول أبي النجم العجلي:

---

1 علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق ، د . صبحى الفقى ، ص 86 وما بعدها .

2 مغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب ، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصارى المصرى ، تح : محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2009 م 2/205–510

قد أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ

إلى حذف الضمير من لَمْ أَصْنَعِ) والأصل (لَمْ أَصْنَعْهُ)... ومنه قول امريء القيس:

فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ فَثَوْبُ لَبِسْتُ وَثَوْبٌ أَجُرُ

والتقدير (ثَوْبٌ لَبِسْتُهُ وَثَوْبٌ أَجُرُهُ)1

الإحالة الضميرية فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم :

شكلت الإحالة الضميرية فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم شبكة ربط متسعة الأطراف حيث استخدم الضمير بارزًا ومستترًا ومتصلًا ومنفصلًا محيلًا إلى عناصر إشارية متقدمة أو متأخرة على اختلاف المدى الإحالى بين المحيل والمحال إليه بُعدًا وقربًا .

وسأثبت هنا نماذج منه مع توضيح وجه الإحالة فى ذلك ، حيث إنه يستخيل رصدها بشكل تام.

نص صدر خطبته صلى الله عليه وسلم 2:

عن الزهري قال : كان صدر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الحمد لله . نحمده ونستعينه، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ، ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فإنما نحن به وله"

أ- **الإحالة ذات المرجعية القبلية :**

فالضمير المستتر (نحن) فى قوله صلى الله عليه وسلم فى كل من (نحمده – نستعينه نستغفره –نعوذ– نشهد – نسأل) العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم

1 الكتاب ، سيبويه ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1979 م ، 85/1

2 مراسيل أبى داود ص 9 والسنن الأربعة

وجميع المسلمين إنما هو من قبيل الإحالة المقامية التى لا تسهم فى سبك النص بشكل مباشر غير أنها تربط النص بالمقام الذى يتحدث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وبالبحث والقراءة فى خطبه بشكل عام نجد أن هذا النوع من السبك تكرر بشكل واضح . وفى نفس الموضع نجد الضمير المتصل (الهاء) فى الكلمات السابقة يعود على الذات الإلهية وقد ذكرت فى بداية الخطبة ولهذه فى هذه الإحالة هى نصية قبلية وكانت هذه عادة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبدأ بذكر الله سبحانه وتعالى وهذا ليس بغريب كما ذكرنا فى مقدمتنا عن الصفات العامة للرسول فى خطبه ، وقد أحدث هذا الربط بين جملة (الحمد لله) وهى جملة اسمية بالجمل الفعلية التالية لها ربطًا نحويًا وهذا الربط واجب ، وكذلك ربطًا نصيًا يعد وسيلة من وسائل الربط والتماسك .

الجدول رقم (1) الإحالة الضميرة فى صدر خطبته صلى الله عليه وسلم :

الخطبة	النص	العنصر الإحالى (الضمير)	نوعه	المحال إليه	نوع الإحالة
صدر خطبته	نحمده	الهاء نحن	ضمير ظاهر متصل للغائب ضمير مستتر	الله الرسول والمسلمون	نصية قبلية مقامية
	نستعينه	الهاء نحن	ضمير ظاهر متصل للغائب ضمير	الله الرسول والمسلمون	نصية قبلية مقامية

			مستتر		
	نستغفره	الهاء نحن	ضمير ظاهر متصل للغائب ضمير مستتر	الله الرسول والمسلمون	نصية قبلية مقامية
	نعوذ به	ضمير مستتر – الهاء نحن	ضمير ظاهر متصل للغائب ضمير مستتر	الرسول والمسلمون	نصية قبلية مقامية
	من شرور أنفسنا	نا نحن	ظاهر متصل للمتكلمين	الرسول والمسلمون	مقامية
	فلا مضل له	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	أحد الناس	مقامية
	ومن يضلل	ضمير مستتر	مستتر	أحد الناس	مقامية
	فلا هادى له	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	أحد الناس	مقامية
	نشهد أن لا إله	ضمير	مستتر	الرسول	مقامية

إلا الله	مستتر نحن		والمسلمون	
و أن محمد عبده و رسوله	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	الله الله	نصية قبلية نصية قبلية
أرسله بالحق	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	الله	نصية قبلية
ومن يطع الله ورسوله	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	الله	نصية قبلية
ومن يعصهما	الهاء هما	ظاهر متصل للغائب	الله ورسوله	نصية قبلية
نسأل الله ربنا	نا نحن	ظاهر متصل للمتكلمين مستتر	الرسول والمسلمون	مقامية
أن يجعلنا ممن يطيعه	نا نحن	ظاهر متصل للمتكلمين	الرسول والمسلمون	مقامية
ويطيع رسوله	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	الله	نصية قبلية

	ويتبع رضوانه	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	الله	نصية قبلية
	و يجتنب سخطه	الهاء هو	ظاهر متصل للغائب	الله	نصية قبلية
	فإنما نحن به وله	نحن – الهاء هو	ظاهر للمتكلم – ظاهر متصل للغائب	الرسول والمسلمون – الله	مقامية– نصية قبلية

كان يقول إذا خطب صلى الله عليه وسلم [1]:

عن ابن شهاب قال : بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا خطب ." كل ما هو آت قريب . ولا بعد لما هو آت . لا يعجل الله بعجلة أحد ، ولا يخف لأمر الناس . ما شاء الله لا ما شاء الناس . يريد الله أمراً .. ويريد الناس أمراً ما شاء الله كان ولو كره الناس ، ولا مبعد لما قرب الله ، ولا مقرب لما بعد الله ، لا يكون شيء إلا بإذن الله جل وعز"

وهنا نجده صلى الله عليه وسلم استمرارًا فى الإحالات المقامية فى قوله (كل ما هو آت – ولا بعد لما هو آت – ما شاء الله كان) والإحالة هنا مقامية لأنها تعود على القدر الذى كتبه الله سبحانه وتعالى للإنسان .

1 مراسيل أبي داد ص ٩

الجدول رقم (2) :

الخطبة	النص	العنصر الإحالى(الضمير)	نوعه	المحال إليه	نوع الإحالة
كان يقول إذا خطب	كل ما هو آت	هو	ظاهر منفصل غائب	القدر	مقامية
	ولا بعد لما هو آت	هو	ظاهر منفصل غائب	القدر	مقامية
	ما شاء الله كان	ضمير مستتر	ضمير مستتر		مقامية

خطبته لما نزلت[1] ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[2] صعد الله على الصفا فجعل ينادى : ىابنى فهر، ىابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً . قال : « فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد قال أبو لهب: تباً لك يا محمد الهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾[3].

1 أخرجه البخارى ومسلم والترمذى ، وفى رواية : ﴿وقد وتب ﴾ التيسير ج 1 ص 164

2 الشعراء الآية 214

3 سورة المسد الآية 1

واستمرارًا كذلك فى الإحالات النصيبة القبلية قوله صلى الله عليه وسلم (أخبرتكم – عليكم _ أكنتم – مصدقى _ لكم) وكلها ضمائر متصلة تعود على بنى (فهر – وبنى عدى)_والضمير المستتر فى قوله (تريد) يعود على خيلًا بالوادى.أما الإحالة المقامية التى تعود على شخص الرسول قوله (إنى نذير)

الجدول رقم (3) :

الخطبة	النص	العنصر الإحالى (الضمير)	نوعه	المحال إليه	نوع الإحالة
خطبته صلى الله عليه وسلم عشيرته الأقربين وأنذر	أرأيتكم لو أخبرتكم	تاء الفاعل – كم	ضمير متصل مخاطب	النبى– بطون قريش	نصية قبلية
	تريد	ضمير مستتر هي	ضمير مستتر	خيلا بالوادى	نصية قبلية
	فإنى نذير لكم	ياء المتكلم _ لكم	ضمير متصل	الرسول – بنى فهر – بنى عدى	مقامية

واستمرارًا كذلك فى الإحالات النصيبة القبلية قوله صلى الله عليه وسلم (أخبرتكم – عليكم _ أكنتم – مصدقى _ لكم) وكلها ضمائر متصلة تعود على بنى (فهر – وبنى عدى)_والضمير المستتر فى قوله (تريد) يعود على خيلًا بالوادى.أما الإحالة المقامية التى تعود على شخص الرسول قوله (إنى نذير).

وبتحليل الجداول السابقة يتضح ما يلى :

الإحالات الضميرية قد سيطرت على معظم الخطب ، كما سبق نرى أنها هى شريان بناء النص، وحقق الاستمرارية فى النص ، وخصوصا

الإحالات الدالة على الغائب، فهى التى هيمنت على معظم النصوص لما لها من ميزة ربط بين عناصر النص .

كما أن اللافت للنظر أن الإحالات معظمها كان عائد على لفظ الجلالة ، وليس هذا بغريب لأن العنصر الإشارى هنا ذا أهمية كبيرة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم على وعى منه أراد استحضار الذات الإلهية فى النص ، ليعطى قدسية خاصة ، فنجد أنها تتواجد فى مطلع الخطب وكذلك فى نهايتها ، فنجد فى مطلع خطبه يقول " نحمده – نستعينه –نستغفره" كلها ضمائر للغائب تعود على الذات الإلهية بغية توجيه الخطاب إلى خدمة هدف الموضوع ، وبيان سيطرتها على الخلق ، لا يشاركها أحد فى ذلك ، والوصل لهدف واحد وهو التوحيد ، وهو الهدف الذى يريد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصل إليه من دعوته ، ليصل فى نهاية المقدمة إلى قوله " فإنما نحن به وله " ، فتكون الخاتمة على نفس الوتيرة التى يهدف الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوصلها للمستمعين لتأكيد المعنى .

ومن الواضح أن الضمير المستتر فى كثير من المواضع كان عائدًا على الرسول صلى الله عليه وسلم و جميع المسلمين ، يجعلنا نتأمل شيئًا خفيًا فى النص ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم واحد من المسلمين ، يماثلهم فى بشريتهم وأحكام الله سبحانه وتعالى تنطبق عليه كما تنطبق على باقي البشر امتثالًا لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[1]. فلم يجعل لنفسه منزلة غير منزلة البشر .

أما الإحالات الحضورية فقد انقسمت إلى فرعين؛ حيث حُصر الأول بضمير المتكلم الذي يشير إلى الفرد، وحُصر الثاني بضمير الجماعة الذي يشير إلى المخاطبين. وهذا يدل على أن الحوار يقتصر على المتكلم والمخاطبين فقط، ولكن يحمل هذا الحوار طابع الإطلاق، حيث يتجاوز دائرة المخاطبين المقيدين بالزمان والمكان المحددين في النص؛ لينتشر في كل مكان ويتجاوز أي زمان.

---

1 سورة الكهف الآية 110

فالخطاب النبوي موجه لكل من يدخل الإسلام قلبه، بل هو موجه للإنسانية بشكل عام. وهذا يؤكد الإحالات المطلقة نحو ""أما الذي أسأل لربى أن تؤمنوا به ولا تشركوا به شيئاً . وأما الذي أسأل لنفسى أسألكم أن تطيعونى أهدكم سبيل الرشاد" وغيرها، كوظيفة التوجيه،وتعزز أركان الرسالة الإسلامية في كل حين.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن الإحالات المقامية الدالة على المتكلم ، كانت تعود فى كثير فى المواضع على ذات الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ مما يدل على أهمية الذات المتكلمة فى النص ، ووظيفتها القيادية فى استمالة المتلقين، بعد أن تأملت الأثر البارز الذي تحمله الإحالات المقامية في توجيه الخطاب وتشكيله، وجدت أنها تلعب دورًا بارزًا في توجيه الخطاب وتفسيره، بالإضافة إلى منحه القوة والفاعلية. فقد أظهر القائد مهارته في استخدام هذه الإحالات، حينما توجه بخطابه نحو الذات الإلهية بأسلوب يعكس وقوفها معه بما يضفي عليها قدسية وتبجيلًا. وبالرغم من أنه أعلن عداءه لمن ينكر الذات الإلهية العظيمة، إلا أن هذه الإشارات السامية تأخذ منحى مفاجئًا، فتتحول إلى الغائب الدال على الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا حين ينطق الشهادة، ويفصح عن بعثته بالرسالة فيقول: "وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى و النور و الموعظة .. من يطع الله وروسله – صلى الله عليه وسلم – فقد رشد ، ويعصهما فقد غوى وفرط وظل ضلالًا بعيدًا "، ولعل في هذا تجريدا للذات المتكلمة الواقعة خارج النص المرتبطة بالأقوال والأفعال، أما الذات الواقعة في النص فهي مرتبطة بالوصف [1]، فمحمد صلوات الله عليه وسلم عبده ورسوله، كما ورد في الشهادة، ولا يقبل في هذا المعرض أن يأتي الباحث بإحالة مقامية، فيقول: وأشهد أني رسول الله. من وجهين الوجه الأول: أنه صلى الله عليه وسلم شاء أن يتلفظ بالشهادة كما علمه صاحب البيان، وكما ينبغي لكل مسلم أن يشهد بها والوجه الثاني: أنه صلى الله عليه

1 ، سعيد حسن بحيرى ، دراسات لغوية تطبيقية فى العلاقة بين البنية والدلالة ، زهراء الشرق ، القاهرة 1999، ص 107

وسلم أراد أن يتجرد من أنا الذات المتكلمة، فلا يظن امرؤ أنه يترفع عمن حوله، أو يفضل نفسه عليهم. ومجيء الذات المرتبطة بالوصف فحسب يفي بهذا الغرض.

بيد أن سلطة القائد تعاود الظهور مرة أخرى، لكن هذه المرة أبلج مما مضى، إذ يجعل سبب رشد الناس متمثلاً في طاعة الله والرسول معًا، وسبب الضلالة متمثلا في معصيتهما معًا، في محاولة لفرض سلطان القائد المستمد من الذات المعظمة من المتلقين .

فالارتكاز على السلطة من أهم الأدوات الحجاجية التى استثمرها الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبه ، فى سبيل إقناع المتلقين ؛ إذ لا يملك المخاطب أمامها إلا التسليم والإذعان[1].

وبالاطلاع على الجداول السابقة أيضًا يتضح أن الإحالة اختلفت بحسب ما تعود عليه وذلك كالتالى:

أ- **الإحالة ذات المرجعية القبلية :**

ومنه ما جاء فى قوله : "من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى" فجملة يعصمهما فعل الشرط بها ضمير يعود على المفعول به والمعطوف " الله ورسوله" ومطابق لهما فى النوع والعدد .

ومنه ما جاء فى قوله : "مكثت أنا وصاحبي بضعة عشر يوماً ما لنا طعام إلا البرير حتى قدمنا على إخواننا من الأنصار فواسونا في طعامهم ، ومعظم طعامهم التمر واللبن" فنجد أن واو الجماعة فى الجملة الفعلية تعود على الأنصار وكذلك كل من الضمير "هم" فى كلمة " طعامهم " و هذا الضمير أيضًا يطابق المجرور فى

1 أمغار ، إبراهيم ، الحجاج فى نص بلاغى لعبد القاهر الجرجانى ، ضمن كتاب : " التحليل الحجاجى للخطاب " إشراف : أحمد قادم وسعيد العوادى ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، ط 1 ، 2016 م ، ص 709

النوع والعدد فهو عائد على متأخر ، مما أحدث الترابط والتماسك فى جوانب النص .

ومنه ما جاء فى قوله : " والله الذى لا إله إلا هو " ضمير الغائب هنا " هو " يعود على لفظ الجلالة وهى إحالة قبلية .

وهناك إحالات موجود خارج النص (مقامية) ، وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم " والذى لا إله إلا هو لو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكموه " فالضمير (هو) يعود على الله ولكن لفظة (الله) تستنتج من المقام .

ب- الإحالة ذات المرجعية اللاحقة :

وهى التى يشير العنصر المحيل إلى عنصر إشارى أو مجموعة من العناصر الإشارية اللاحقة له فى النص ، ومن أمثلة المرجعية اللاحقة ما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : انتهيت إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو جالس فى ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فسمعته يقول : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر إذ نزل منزلا ، فمنا من يضرب خباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو فى جشره إذ نادى مناديه : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا ،فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطبنا فقال[1] : " إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيرًا لهم ، وينذرهم ما يعلمه شرًا لهم . وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها فى أولها وإن آخرهم يصيبهم بلاء.."

وكذلك خطبته صلى الله عليه وسلم التى قال فيها : "...أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها، لا ينقص منه شىء.."

1 ابن ماجة ج 2 ص 243 ومسلم والنسائى مع اختلاف يسير

فضمير الشأن المتصل بأن الواقع قبل الجملة الفعلية فى النصين السابقين ، يشير إلى ما بعده ما كلام فى الخطبةمن أحداث وغيرها ، فيصبح كلامه صلى الله عليه وسلم اللاحق للضمير ، تفسيرًا له ، والجمل ما بعده تكمل بكاملها متعلقة به .

وكذلك فى قوله :

عن الحسن قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال[1] : " هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى و يجعله بصيرًا ؟ ألا إنه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك.. "

وقد تصدر ضمير الشأن هنا الجملة الاسمية ، ويعد اتجاه الإحالة فى بنية ضمير الشأن إحالة إلى متأخر أو لاحق ؛ لأن الجملة المفسرة لضمير الشأن متأخرة عنه وجوبًا ، ومرجعه يعود على مضمونها ، فلا يجوز تقديمها كلها ولا شىء منها عليه ، وقد عرف هذا الضمير بأنه : "ضمير غيبة يعود على متأخر فى اللفظ والرتبة ، ويتصدر الجملة الاسمية أو الفعلية ؛ فتكون الجملة التى بعده خبرًا عنه وتفسيرًا له [2] ، فمعناه هو معنى الجملة ذاتها ومدلوله هو مدلولها ، فهو رمز لها و إشارة لمعناها ، إلا أن النحاة اختلفوا فى الجملة المفسرة له هى فعل الجملة أم اسم مفرد ؟ فذهب البصريون إلى أن خبر ذلك الضمير ينبغى أن يكون جملة ؛ لأن الضمير هو ضمير الجملة ، و اشترطوا أن تكون الجملة خبرية لا إنشائية ولا طلبية ، وأن يصرح بركنيها ، فلا يجوز حذف جزء منها ، فإنه يجىء بها لتأكيدها ، وتفخيم مدلولها ، والحذف لا يؤدى ذلك الغرض[3] .

وجوز الكوفيون و الأخفش أن يكون المفسر لضمير الشأن مفردًا له مرفوعًا ، كما أجازوا حذف المرفوع ، ورفض ابن هشام ذلك الرأى لوجهين : الأول التفسير بالمفرد ... ، والثانى : حذف مرفوع الفعل[4].

---

1 روح البيان لإسماعيل صدقى ج 1 ص 406

2 شرح المفصل ، 114/1

3 المرجع السابق نفسه

4 مغنى اللبيب ، 490/2

ويتضاعف دور ضمير الشأن فى الربط باتصاله بأنَّ أو إنَّ إذ يربط جملة ضمير الشأن بالجملة السابقة ، فتقوى عملية الربط النحوى بين جمل النص .

ويرى الجرجانى أن دخول (إن) على الجملة لا يتساوى مع تركها فيقول : إنك ترى الجملة إذا هى دخلت _ أى – إنَّ – ترتبط بما قبلها و تأتلف معه وتتحد به ، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغًا واحدًا ، وكأن أحدهما قد سُبِك فى الآخر[1].

ويدعم الجرجانى رأيه فيقول : ومن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هى لم تدخل عليه ، بل تراه لا يصلح حيث صلح بها [2].

بشكل عام، يمكن القول إن الضمير في عملية السبك يؤدي دورًا مزدوجًا سواء على مستوى الجملة أو الجملتين. الوظيفة الأولى، يثير الضمير حالة من النشاط العقلي للقارئ بهدف كشف مرجعيته، وهذه الحالة بذاتها تساهم في إبراز تماسك النص وتجديده في كل قراءة. عندما ينتقل القارئ لاستكشاف روابط جديدة وتحديدها، يجد بأنه قد كشف عن المرجعية، مما يؤدي إلى جعل هذه التراكيب متماسكة.

أما الوظيفة الثانية للضمير في عملية السبك تتمثل في تكثيف النص واختصاره. بدلاً من إعادة الجزء الطويل نسبياً، يقتصر الكاتب على الإشارة إليه بمجرد ذكره في المرة الأولى. هذه العملية اللفظية لها أهداف عقلية تهدف إلى استحضار المحتوى الذي تم تقليصه في النص وتضمينه في موضعه المناسب. هذه العملية العقلية تعزز إعادة بناء النص بشكل يتسم بالاتساق والوضوح، مما يسهم في تعزيز تدفق النصوص وترابطها.

-الإحالة الإشارية :

---

1 البصائر و الذخائر ، 179/1

2 دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجانى ، ص 216

تعمل أسماء الإشارة على ترابط النصوص كعمل الضمائر ، وتشمل أسماء الإشارة المكانية والزمانية: هذا هذه، ذلك، تلك، والظروف الدالة على الاتجاه ففي العربية أسماء إشارة تفيدان الظرفية هما : (ثم، وهنا) ، وقد تلحق (تاء التأنيث) بـــ (ثم) فتصبح (ثمة)، وقد تلحق (الكاف) بـــ (هنا) فتصبح (هناك)، فإذا أضفنا إليها اللام صارت للبعد، فتصبح (هنالك)، إضافة إلى عناصر معجمية تقوم بعمل الإشارة مثل : (شرقاً غرباً، أمام، قدام، خلف)[1] .

وقد تنبه البلاغيون إلى إحالية اسم الإشارة بأنواعه، وإحالته عندهم دائماً سياقية تخضع لمفاهيم القرب والبعد، والتعريف والتنكير، ولأغراض أخرى يحددها السياق، كالتعظيم في قوله تعالى: ﴿ الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] حيث أتي بلفظ إشارة للبعيد للإشارة إلى بعد المنزلة. كما أنه قد يحيل إلى رابط آخر كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾[3] إذ يحيل إلى اسم الموصول الذي وهو أيضاً وسيلة إحالية مثله.

<u>الإحالة الإشارية فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم :</u>

من خلال النظر فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم يُلاحظ توظيف أسماء الإشارة فى ربط النص فى مواضع كثيرة ، ومن نماذجها :

أ- **<u>الإحالة القبلية (الموسعة) :</u>**

سبقت الإشارة إلى أن اسم الإشارة قد يحيل إلى مقطع نصيٍّ ، وهذا المقطع قد يكون مكوّنًا من جملة واحدة ، وقد يكون مكونًا من عدد من الجمل والمتواليات اللفظية ، وهذا ما يُعرف بـــ (الإحالة الموسعة).

---

1 لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، د . محمد خطابى ، ص 19 .

2 سورة البقرة : الآية ١_٢

3 سورة يوسف الآية 32

ومن أمثلة الإحالة فى خطبه صلى الله عليه وسلم :

خطبته فى كسوف الشمس :

عن عبد الله بن عمرو قال عن الرسول صلى الله عليه وسلم[1] : ".. أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى يريهما عباده ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة "

فاسم الإشارة (ذلك) فى قوله (فإذا رأيت ذلك) ،جاء استبدالا لتكرار قوله السابق (أى إذا رأيتم ظهور الشمس والقمر) ففسرته ، وكانت أدوات ربط وتماسك لأجزاء النص ، وهذه الوظيفة ليست شكلية فقط ، بل دلالية كذلك ؛ لأن الدلالة فى كثير من الأحيان تبقى غامضة ، وتبقى الجمل متناثرة حاملة دلالات متناثرة فتظهر الإحالة رابطة بين هذه المتناثرات واصلة فيما بينها ، فقام اسم الإشارة بالربط بين جملتين ، مغنيًا عن إعادة جزء كبير منه .

خطبته فى أن محقرات الذنوب مهلكة وإن أخذ بها :

عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]: " إياكم ومحقرات الذنوب ، فإن مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى انضجوا خبرتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه " قال النبى صلى الله عليه وسلم : " مثلى ومثل الساعة كهاتين وفرق بين إصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام " ثم قال : " مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة ، فلما خشى أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم " ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا ذاك "

فنجد أن اسم الإشارة (ذاك) اختصر كل ما سبق ما قول ، و أحدث ربطًا بين كلام سابق وكلام لاحق.

---

1 أخرجه الستة . التيسير ج 2 ص 320

2 رواه الإمام أحمد و رجاله رجال الصحيح

واسم الإشارة (ذلك) يتركب من عدة عناصر لكل عنصر وظيفة معينة يؤديها ، فذا للإشارة ، واللام للبعد ، والكاف للخطاب ، والعنصر الأساسى فيه هو ذا ، والعرب إن أردات الإشارة إلى متنح متباعد زادوا كاف الخطاب وجعلوه علامة لتباعد المشار إليه فقالوا ذاك ، فإن زاد بعد المشار إليه أتوا باللام مع الكاف وقالوا (ذلك) ، واستفيد باجتماعها زيادة فى التباعد لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى [1]

ب-<u>الإحالة الإشارية البعدية:</u>

ومن أمثلتها التى وردت فى خطبه صلى الله عليه وسلم : عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] : " إن <u>هذه القرآن</u> مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن <u>هذا القرآن</u> هو حبل الله المتين ، والنور المبين والشفاء النافع ..

فاسم الإشارة (هذا) فى الموضعين أحال إلى اسم مفرد مذكور بعده هو العنصر الإشارى (القرآن)،وهو هنا يمثل وحدة معجمية مفردة يحال عليها ، واتجاه الإحالة بعدية لاحقة ، وقد قام اسم الإشارة هنا بوظيفتين : الأولى : نحوية ؛ حيث مثل اسم الإشارة المسند إليه الذى ينبنى عليه الكلام نحويًا ، والثانية دلالية حيث ربط الإشارة بين المعانى الواردة فى النص .

<u>ومنه ما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى فضل صوم رمضان :</u>

عن سلمان _ رضى اله عنه – قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال : " ... يعطى الله عز وجل <u>هذا الثواب</u> من فطر صائمًا على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن .."

ويلاحظ أن أسماء الإشارة فى الأمثلة السابقة حققت الإيجاز و أغنت منشئ النص عن إعادة قدر كبير من المعلومات والمتواليات الكلامية ، كما أن فيها

---

1 شرح المفصل لابن يعيش 135/3

2 رواه أبو عبيدة فى فضائل القرآن والحاكم وابن حبان . فضائل القرآن لعبد الله الصديق ج 1 ص 8

تنشيطًا لمساحة كبيرة من المعلومات ، وتذكيرًا للمتلقى بها من خلال الإحالة إليها ليبقى الكلام مستمرًا فى المخزون الفعال دون الحاجة للتصريح به مرة أخرى ، وفيه أيضًا تخصيص للمشار إليه .

3-الإحالة الموصولية :

وقد أضافها لوسائل السبك الإحالية (دي بوجراند)[1]، كما أشار إليها د. الأزهر الزناد(على أنها من الألفاظ الكنائية التي لا تملك دلالة مستقلة.)[2]

والأسماء الموصولة ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة بل هي مفتقرة إلى الصلة والعائد، فكأنها تأتي تعويضاً عما تحيل إليه، فهي لا تقوم بالربط النصي من خلال ذاتها، لأنها ليست في قوة واو الحال مثلا التي تستطيع وحدها ربط جملة الحال بصاحبها، نحو (خرجت والشمس طالعة)، لكن الأسماء الموصولة مرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول المشتملة على ضمير عائد إليها، فتصنع رابطاً مفهوميًا بين ما قبلها وما بعدها، قال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [3].

فجملة (ادفع) وجملة هي أحسن قد ربط بينهما الاسم الموصول (التي) وقام بالسبك بينهما عن طريق الإحالة البعدية، حيث إن (التي) لا يفهم معناها إلا من خلال الجملة بعدها هي أحسن ولهذا طوبق بينها وبين (هي).

الإحالة الموصولة فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

1 مقدمة مترجم كتاب النص والخطاب و الإجراء لروبرت دى دى بوجراند ، د. تمام حسان ، ص 32 ، والفصل الخامس منه .

2 نسيج النص ص 118

3 سورة فصلت الآية 34

يتضح الربط الإحالة فى قوله : عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر فى غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال[1] : " لا تسلوا نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم ناقة ففعل ، فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ، ويحلبون من لبنها **مثل الذى كانوا يصيبون من غبها...**"

فاسم الموصول (الذى) أحال إلى لفظة (مثل) إذ يعد فى هذه الحالة عند إشارى قبلى،وهو أيضا قريب المدى فلا فاصل بينه وبين المحال إليه ، واسم الموصول هنا تمم معنى مع

المضاف قبله ؛ وعليه يمكن بيان البنية الإحالية للموصول بالآتى :

عنصر إشارى + عنصر إحالة + جملة الصلة

مضاف الموصول

ومثاله أيضًا ما قاله :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله عز وجل ؟ قالوا : الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم . قال : " **الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكاره** ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره ، لا يستطيع لها قضاء .. "

فاسم الموصول (الذين) أحال إلى لفظ (الفقراء المهاجرون) وهو يعد من قبيل الإحالة الإشارية القبلية ، ويفسر أيضًا بأن الموصول يحيل إلى مرجع سابق ، ولا شك أن هذه الإحالة تقوى الربط بين أجزاء التركيب ، خاصة إذا عطف على جملة الصلة بجمل متعددة تدخل فى معناها ويلزمها وجود العائد كما فى المثال السابق .

---

1 رواه الطبرانى فى الأوسط ، والبزار و أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح

2- الإحالة بأدوات المقارنة :

وهي نوع من أنواع الإحالة، والمراد بها ما دل على تطابق أو تشابه أو اختلاف أو تفضيل أو إضافة إلى سابق كما وكيفا أو مقارنة، ومنها ألفاظ مثل (مشابه، غير، خلافاً، علاوة على، بالإضافة إلى فضلاً عن أكبر من مقارنة بما أسوة بـــ)، وهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية تقوم بوظيفة الربط بين أجزاء معينة من النص.

وقسمها (د. خطابي) إلى أدوات عامة يتفرع منها أدوات التطابق ،(ويتم باستعمال عناصر مثلsame) ، والتشابه (وفيه تستعمل عناصر مثلsimilar) (، والاختلاف ويتم باستعمال عناصر مثل (other) وأدوات خاصة ويتفرع منها أدوات للكمية (ويتم باستعمال عناصر مثل (more)،وأدوات للكيفية (وتتم باستعمال عناصر مثل : أجمل من جميل، مثل)[1]، ويؤتى بالمقارنة الخاصة للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم أو الكيف.

من أمثلة ألفاظ المقارنة فى خطبه صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب يوم تبوك فقال[2] : " ما فى الناس **مثل** رجل آخذ بعنان فرسه فيجاهد فى سبيل الله ، ويجتنب شرور الناس ، و**مثل** رجل باد فى غنمه يقرى ضيفه ويؤدى حقه "

وعن بريدة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال[3] : " حرمة نساء المجاهدين على القاعدين **كحرمة** أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيام فيأخذ من عمله ما شائ فما ظمنكم " ؟

هنا العنصر الإحالى هو (الكاف) وهى إحاله (عامة)والمحال إليه (أمهاتهم) ونوع الإحالة (نصية بعدية)

---

1 لسانيات النص ، ص 19

2 مسند الإمام أحمد ج 1 ص 311

3 رواه مسلم وأوب داود والنسائى

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال[1] : " من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ،وصام رمضان . كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها " فقالوا : يا رسول الله أفلا نبشر الناس ؟ قال : " إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسالوه الفردوس فإنه **أوسط الجنة و أعلى الجنة**)

الخاتمة

توصل البحث من خلال تناوله لدور السبك والحبك فى التماسك النصى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجًا ، إلى النتائج الأتية:

(1) قامت وسيلة الإحالة بدور كبير فى تحقيق التماسك النصى فى خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة الإحالة الضميرية.

(2) كانت المرجعية الإحالية الغالبة على الخطب هى الإحالة القبلية التى تحيل المتلقى إلى النظر إلى ما سبق من عناصر.

(3) أهمية ضمير الغيبة فى تحقيق السبك النصي ، و عودته فى كثير من الأحان إلى الذات الإلهية .

(4) كثرة الضمائر المتصلة فى الخطب عن المنفصلة ودورها فى تحقيق الترابط ، والدليل الشواهد التى وردت فى الرسالة بشكل عام .

---

1 رواه البخارى والترمذى

(5) تتوقف قوة السبك على حسن استخدام الروابط سواء بالضمير أو اسم الإشارة أو الاسم الموصول أو ألفاظ المقارنة .

هذا.... والله أسأل التوفيق والسداد، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

- **نحو النص اتجاه جديد في دارسة النحو العربي** تأليف د / أحمد عفيفى ، صحيفة دار العلوم للغة العربية و آدابها والدراسات الإسلامية ع 16 رمضان 1421 ديسمبر 2000

- **العربية من نحو الجملة إلى نحو النص** ، تأليف أ.د سعد مصلوح ، الكتاب التذكارى لذكرى عبد السلام هارون الكويت ، 1999.

- **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب** د نعمان بوقرة ، عالم الكتب الحديث / جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط ١ ، ٢٠٠٩م .

- **نسيج النص**، الزناد الأزهر، المركز الثقافي العربي المغرب لبنان، ط١، ١٩٩٣.

- **النص والخطاب والإجراء** لدي بو جراند ، ترجمة: تمام حسان عالم الكتب القاهرة، ط ١ ، ١٩٩٨.

-**نسيج النص**، وفان دايك تون النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق المغرب/لبنان، ٢٠٠٠م.

-**مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه** للصبيحي محمد الأخضر الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف بيروت الجزائر، ط ١ ، ٢٠٠٨.

- **علم لغة النص النظرية والتطبيق** عزة شبل مكتبة الآداب القاهرة، ط١، م2007 .

- **لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النصوص** المركز الثقافي العربي محمد خطابي ، المغرب/بيروت، ط٢، ٢٠٠٦ .

-**تحليل الخطاب** ، ج ب براون وجيول ــ ترجمة لطفى الزليطنى ومنير التريكى

-**شذور الذهب فى معرفة كلام العرب – ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شذور الذهب** لمحى الدين عبد الحميد ، ط 15 1978 م ، مطبعة التقدم.

- **البيان فى روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى** ، د . تمام حسان ، ط/2 ، 1420هـ 2000م ــ عالم الكتب القاهرة.

– **شرح المفصل** ، العلامة موفق الدين ابن يعيش بن على بن يعيش النحوى ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، 126/3 –139.
–**اللغة العربية معناها ومبناها** للدكتور / تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط/2، 1979م.
– **مغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب** ، الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصارى المصرى ، تح : محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، 2009.
–**الكتاب** ، سيبوبه ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1979 م .
– **دراسات لغوية تطبيقية فى العلاقة بين البنية والدلالة** ، سعيد حسن بحيرى ، زهراء الشرق ، القاهرة 1999.
– " **التحليل الحجاجى للخطاب** " إشراف : أحمد قادم وسعيد العوادى ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، ط 1 ، 2016 م .
– **روح البيان لإسماعيل** صدقى ج1 دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
– **شرح المفصل** للزمخشري للمؤلف: يعيش بن علي بن يعيش لناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
– **مسند الإمام** أحمد ج1 دار الكتب العلمية 2009.
– **دلائل الإعجاز** : عبد القاهر الجرجانى ، مطبعة المدني 2009.
– **البصائر والذخائر** لأبو حيان التوحيدي لمحقق:د/ وداد القاضي الناشر:دارصادر–بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م